جامعة الملك سعود
كلية الآداب
مجلة الآداب
ردمد (ورقي): ٣٦٢٠-١٠١٨
ردمد (النشر الإلكتروني): ٨٣٣٩-١٦٥٨

King Saud University
College of Arts
Journal of Arts
ISSN (Paper):1018-3620
ISSN (Electronic):1658-8339

مجلة الآداب، مج (٣٤)، ع (١)، ص ص ٢٥-٤٤، جامعة الملك سعود، الرياض (٢٠٢١م/ ١٤٤٣هـ)
Journal of Arts, Vol. 34 (1), pp 25-44, © King Saud University, Riyadh (2021 /1443H.)

الإحالة ودورها في التماسك النصي
"قصة الحمامة لسعد الدوسري أنموذجًا"

غالية بنت عبد العزيز بن عبد الرحمن المسند

أستاذ النحو والصرف المساعد، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن، الرياض

(قدم للنشر في ١٠/ ٧/ ١٤٤٢هـ، وقبل للنشر في ٤/ ٤/ ١٤٤٣هـ)

الكلمات المفتاحية: الإحالة، المقامية، النصية، التماسك، قصة الحمامة.

ملخص البحث: تسعى هذه الدراسة إلى بيان أثر الإحالة في تماسك النص، وشد عراه، وتمتين نسيجه، وإحكام أجزائه؛ لأنها إحدى أدوات الربط الاتساقية في النصوص الأدبية، فهي أمشاج من (الضمائر، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، والتعريف...) وتضطلع جميعًا بربط مفاصل النصّ وجمله؛ بصنع شبكة من العلائق والأدوات التي تسيّج النص وتشد عُراه، وتُسْهِم مع غيرها من الأدوات في تحقيق النصية بربط أواصره، بحيث يصبح النص خطابًا كليًّا؛ ولأجل ذلك اخترت قصة (الحمامة) لسعد الدوسري؛ لتكون ميدان التطبيق، وعوّلت في تبيين دور الإحالة على المنهج الوصفي، واتخذت من التحليل أداة للوقوف على مقاصد المبدع وأهدافه التي يرومها من وراء إحالاته، ثم دلفت إلى تعريف النص، وتعريف الإحالة لغة واصطلاحًا، وبينت أنواعها وأدواتها، ثم خلصت إلى المبحث التطبيقي (الإحالة في نسيج الحمامة) فوقفت على الإحالة بالتعريف، والضمير، والموصول، والإشارة، وأظهرت أثرها في تحقيق تماسكها، وتبيان سمة النصية فيها.

The Role of Anaphora in Text Cohesion

Ghalia Abdul Aziz Al-Misnad
Assistant Professor of Grammar and Morphology, Department of Arabic Language, College of Arts, Princess Nourah Bint Abdul Rahman University, Riyadh
(Received: 10/ 7/1442 H, Accepted for publication 4/ 4/1443 H)

Keywords: anaphora, cohesion, coherence, contextuality, devices.
Abstract. This study aims to investigate the role of anaphora in text cohesion. The selected text which the study used to perform the intended investigation was taken from the story of "the Dove" written by Saad Al-Dawsari. The study used an analytic approach to reveal the role of cohesive devices (e.g., pronouns, demonstrative pronouns, relative pronouns, phrases … etc). In explaining the role of the anaphora, the study tried to find out the purposes and goals of the writer through the use of cohesive devices in the text. It was concluded that anaphoric elements play an important role in achieving the text cohesion and textuality features.

مدخل:

أضحى التحليل النصي ضرورةً وهدفًا للمشتغلين باللغة؛ لأنَّ التَّواصل بين مستخدمي اللغة لا يكون بوساطة جُمَلٍ مفردة منعزلة عن النصوص التي وردت فيها، ومُجْتَثَّةٍ من محيطها الحاضن لها والمُهَيِّءِ سُبُل ترابطها وفَهْمها وإِفْهامها؛ لذلك دعا النصيون إلى أن يكون النَّصُّ منطلَقًا لكل تحليل لغوي، وإلى تجاوز حدود الجملة إلى بنية النص الكاملة المستقلة بمكوناتها المختلفة التي تتمثل في المُبْدِعِ والمُتَلَقِّي وقناة الاتصال وهدف الرسالة ونَصِّها الذي يتحقق فيه التفاعل ...؛ وإذا أخذنا في الحسبان كل هذه الجوانب والأركان فإن مثل هذا التحليل النصي سيميط اللثامَ عن الوشائج بين الجمل ومظاهر تماسكها وارتباط عراها؛ لأَنَّنَا لا نُؤَوِّلُ الجمل التي تنبني منها النصوص بمنأى عن الجمل والقضايا السابقة أو اللاحقة؛ لأن العلاقات بين الجمل مترابطة ومتشابكة، ومحددة باعتبارات التأويلات النسبية.

وبسبب أهمية التحليل النصي وما يوفره للدارسين من سبل تشريح النصوص، وما يمد به المبدعين من وسائل وأدوات تمكنهم من إنتاج نصوص متماسكة احتل مكانة مرموقة بين الدراسات اللغوية المعاصرة، وعوّل الباحثون عليه، ودعوا إلى ضرورة المحافظة على مظاهر التماسك النصي واتساقه المتمثلة في الإحالة والاستبدال والحذف والوصل ... إلخ.

فالتأويل الإجمالي يساعدنا على فهم أوجه الترابط النحوي بين جُمَلِهِ المُفْرَدَةِ إلى أنْ نَصِلَ إلى الفَهْمِ الإجْمالِيِّ للنصِّ؛ "لأنَّ سلسلة طويلة أو قصيرة من الجمل تُؤَلِّفُ نَصًّا مُحَدَّدًا، ومن الطبعي أن ترتبط هذه الجمل بروابطَ تُوَفِّرُ للنَّصِّ تَمَاسُكَهُ الشَّكْلِيَّ والمَعْنَوِيَّ". (خليل، ٢٠٠٧، ص ١١١).

وقد اصطفينا الإحالة من بين تلك الأدوات؛ لأنها تُسْهم مع غيرها في تحقيق تماسك النصّ واتساقه، وتضطلع بدور أساسيّ في ربط أجزاء الجملة الواحدة من ناحيةٍ، وربط عدّة جمل مع بعضها بعضًا بحيث يتكوّن نصّ أو خطابٌ شامل، تتلاحم كل أجزائه من أوله إلى آخره.

وقد اصطفيت قصَّةَ "الحمامة"؛ لتكون مدونة البحث، وهي قصة قصيرة ضمن مجموعة قصصية لأدب الأطفال للكاتب السعودي سعد الدوسري (وهو كاتب سعودي ولد في ١٠ يناير ١٩٥٩ في السعودية، دخل المجال الصحفي في السعودية منذ عام، ١٩٧٧م، وكتب عمودًا صحفيًا في عدة صحف منها صحيفة المدينة، والجزيرة، واليمامة، وجريدة الحياة، ومجلة الوسط وله عدد من الكتابات القصصية).

واتخذت "الحمامة" ميدان دراستي؛ في محاولة مني لاستكشاف مدى توظيف الدوسري للإحالات المبثوثة في أديم قصته طولًا وعرضًا، وهل جاءت إحالاته مناسبة لعقلية مخاطبيه – ولا سيما أنهم أطفال -فنهضَتْ بتماسك النص، وشدّتْ عراه، وقوّت مفاصله، وكوَّنَتْ شبكةً من الجسور بين جمله؛ فربطت السابق باللاحق، واللاحق بالسابق، والنص كله بما حوله من العالم الخارجي، أم أن الكاتب لم يستطع تضفيرها في نسيج النص تضفيرًا محكمًا فأصابه داء الترهل؟

واستقر اختياري على هذا النوع من الأدب لما أصابه من تهميش الدارسين له مقارنة بأدب الكبار، مع أنه يعد واحدًا من أهم الروافد التي تشكل وجدان الطفل وعقله وحالته النفسية، كما تنبثق أهمية دراسة مثل هذه الموضوعات في محاولة الإجابة عن عدد من التساؤلات التي تثري الموضوع وتغمره، وإن استطعنا إيجاد إجابات شافية كافية لها فإنها تعد حينئذ نتائج جيدة، وهي:

هل عَبَّرَ النص عن هموم الطفل السعودي؟

هل استطاع الكاتب أن يصل إلى عقله ووجدانه؟

هل أدوات الكاتب وطريقته كانت كافية وجيدة في الوصول إلى مبتغاه وهدفه؟

هل أدت الإحالات التي بثّها القاص في قصة الحمامة وظيفتَها فاضطلعت بتماسك النص واتساقه؟

وفي سبيل الوصول إلى تحقيق تلك المهام وإنجاز الأهداف والغايات عوَّلت على المنهج الوصفي، واتخذت من التحليل أداة، واستعنت على ذلك بعدد من المصادر والمراجع التي اهتمت بلسانيات النص، فنهلت من معينها ما جعلتني قادرةً على تحليل قصة الحمامة، وتبيان الإحالات المبثوثة في نسيجها وأثرها في تماسكها وترابط أوصالها.

وقد جاء البحث في مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، وفهرس للمصادر والمراجع.

تحدثت في المقدمة باقتضابٍ عن أهمية التحليل النصي بوجه عام، وقيمته في الأدب القصصي بوجه خاص، وذكرت دوافع اختياري لمثل هذا النوع من الدراسة، وبينت المنهج الذي ارتضيته في تلك الدراسة، وعناصر خطته.

وأوضحت في المبحث الأول المعنون بـ: "المدخل المصطلحي" أهم تعريفات النص، والإحالة لغةً واصطلاحًا، وأنواعها وأدواتها، ثم وَلَجْتُ إلى المبحث التطبيقي الذي وَسَمْتُهُ بـ: "الإحالة في نسيج الحمامة" فدرست فيه الإحالة بالتعريف، والضمير، والموصول، والإشارة، ووقفْتُ على دورها في تماسك النص وتقويته، وتَمْتِينِهِ، ثم ختمت البحث بخاتمة ضمنتها أهم النتائج، وفهرس لمكتبة البحث.

بقي أن أشير إلى أنني اعتمدت على أكثر من مرجع لمؤلِّفٍ واحد؛ ومن ثم رمزت في التوثيق داخل المتن لكل مرجع بحرف بدلًا من ذكر المرجع، وهذه الرموز هي:

البيان في روائع القرآن (ب). الخلاصة (خ). دراسات لغوية (د). علم لغة النص (ع). مقالات في اللغة والأدب (م)

المبحث الأول: المدخل المصطلحي

(١-١-١) مفهوم النص.

نال النص تعريفات كثيرة اختلفت باختلاف زاوية نظر كل دارس، فعرفه برينكر بأنه: "تتابع محدود من علامات لغوية متماسكة في ذاتها، وتشير بوصفها كُلًّا إلى وظيفة تواصلية مدركة" (برينكر، ١٩٨٥/ ٢٠٠٥، ص ٢٧).

ويهتم بنفست بطرفي الخطاب مع عنايته بقصد المتكلم وتأثيره على المخاطَب في تعريفه للنص، فهو عنده: "كل مقول يفترض متكلمًا ومستمعًا تكون لدى الأول نية التأثير في الثاني بصورة ما" (Benveniste, 1966, p 16).

ويركز هاليداي ورقية حسن على مسألة التماسك؛ إذ يذهبان إلى "أن كل متتالية من الجمل تشكل نصًّا شريطة أن تكون بين هذه الجمل علاقات". (خطابي، ٢٠٠٦، ص ١٣).

ولكن دي بوجراند؛ يعد النص "حدثًا تواصليًّا يلزم لكونه نصًّا أن تتوافر له سبعة معايير للنصية مجتمعة، ويزول عنه هذا الوصف إذا تخلَّف واحدٌ من هذه المعايير، وهي: السبك، والحبك، والقصد، والقبول، والإعلام، والمقامية، والتناص". (بوجراند، ١٩٨٠/ ١٩٨٨، ص ١٠٣)، والحق أنه لا يجب توفر كل هذه المعايير السبعة التي أوجبها دي بوجراند في نص واحد "فقد يتحقق الاكتمال النصي بوجودها، وأحيانًا تتشكل نصوص بأقل قدر منها". (بحيري، (ع)، ١٩٩٧، ص ١٤٦). ويمكننا أن نعرف النص بأنه: كِيَانٌ بِنْيَوِيٌّ مُتَمَاسِكٌ يَحْمِلُ فِي طَيَّاتِهِ وَظِيفَةً تَوَاصُلِيَّةً.

(١-١) مفهوم الإحالة.

الإحالة لغةً: تدور المادة اللغوية (ح.و.ل) حَوْلَ التغيير والتحول، ونقل شيء إلى شيء آخر؛ لوجود رابط بينها، فـ "الْحَاءُ وَالْوَاوُ وَاللَّامُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ تَحَرُّكٌ فِي دَوْرٍ" (ابن فارس، ١٩٧٩، ص ٢/ ١٢٢)، ومنه " الحَوْلُ: السَّنَةُ اعتِبارًا بانقلابِها ودَوَرانِ الشَّمس فِي مَطالِعها ومَغارِبها (الزبيدي، ص ٢٨/ ٣٦٥)، و "حَالَ الرَّجُلُ فِي مَتْنِ فَرَسِهِ، إِذَا وَثَبَ عَلَيْهِ، وَحَالَ الشَّخْصُ يَحُولُ، إِذَا تَحَرَّكَ، واسْتَحَلْتُ الشَّخْصَ؛ أَيْ نَظَرْتُ هَلْ يَتَحَرَّكُ. وَالْحِيلَةُ وَالْحَوِيلُ وَالْمُحَاوَلَةُ مِنْ طَرِيقٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ الْقِيَاسُ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ؛ لِأَنَّهُ يَدُورُ حَوَالَيِ الشَّيْءِ

لِيُدْرِكَهُ". (ابن فارس، ١٩٧٩، ص ٢/ ١٢٢)، والمُحال مِنَ الْكَلَامِ: مَا عُدِل بِهِ عَنْ وَجْهِهِ (ابن منظور، ص ١١/ ١٨٦)، وإذا نقبنا في المعاجم الحديثة نجد أنهم اقتربوا من المعنى الاصطلاحي، فذكر أحمد مختار عمر أن الإحالة: "استعمال كلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى أو عبارة أخرى سابقة في النص أو المحادثة ... وإحالة مزدوجة: تنبيه القارئ في مكان من كتاب أو مقالة بالرجوع إلى مكان آخر يعالج ما يتّصل بالموضوع قيد الدرس، وذلك لربط نواحي الموضوع الواحد بعضها ببعض. (عمر، ٢٠٠٨، ص ١/ ٥٨٧).

الإحالة اصطلاحًا: نالت الإحالة اهتمامًا كبيرًا في الدراسات اللسانية؛ ومن ثم عُرِّفتْ تعريفات كثيرة من زاوية كل لساني وفهمه لها ولأثرها في الترابط الداخلي لأَواصر مَقاطع النَّص، وتماسك عراه؛ لأنها من أهم وسائل اختزال المعنى عن طريق التأشير الذي يحول دون رخاوة النصوص وضعفها واعتلال مبانيها.

يعرفها كلماير بأنها: "العلاقة القائمة بين عنصر لغوي يطلق عليه عنصر علاقة أو عنصر التعلق وضمائر يطلق عليها صيغ الإحالة، وتقوم المكونات الاسمية بوظيفة عناصر العلاقة أو المفسر أو العائد إليه". (كلماير آخرون، ١٩٨٠/ ٢٠٠٩، ص ٢٤٨)، وهي عند برينكر اشتمال "اللاحِقُ على ما يشيرُ إلى السابِقِ، بإعادةِ ذِكْرِه، أو معناه، أو الإضمار له، أو الإشارة إليه، أو وَصْفه بموصولٍ أو صفةٍ، أو إلحاقه بالألف واللام نيابةً عن ذلك". (برينكر، ١٩٨٥/ ٢٠٠٥، ص ٣٨)، وهي علاقة بين "عنصر لغوي وآخر لغوي أو خارجي، بحيث يتوقف تفسير الأول على الثاني". (يونس، ٢٠٠٤، ص ١٦٦)، وهذه العناصر اللغوية المُحِيلة "لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل؛ إذ لا بدَّ من العَوْدة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها". (خطابي، ٢٠٠٦، ص ١٦)، لذلك فإن "فهم العناصر الإحالية التي يتضمنها نصٌّ ما يقتضي أن يبحث المخاطَبُ في مكانٍ آخرَ داخل النص أو خارجه". (يونس، ٢٠٠٤، ص ١٦٦).

ويراد بالمعينات: مجموعة من المرجعيات الإحالية المبنية على شروط التلفظ الخاصة وظروفه، كهوية المتكلم، ومكان التلفظ وزمانه) أنا-الآن-هنا) ، ويعني هذا أن كل ملفوظ يتكون من مرسل ومستقبل ومكان التلفظ وزمانه، وهذه المؤشرات السياقية هي التي تسمى بالمعينات أو القرائن السياقية. (سعدية، ٢٠٠٩، ص ٢٢).

وتحيل المعينات على أطراف التواصل، من: متكلم ومستقبل، ومُرْسِل ومُرْسَل إليه، إضافة إلى الضمائر المنفصلة والمتصلة: (أنا-أنت-نحن-أنتم) ...، وأدوات التملك المتعلقة بضمير المتكلم وضمير المخاطب: (كتابي، كتابك، كتابنا، كتابكم) ...، وأسماء الإشارة: (هذا-هذه-ذلك-تلك) ...، وظروف الزمان والمكان: (هنا-هناك-اليوم-الآن-البارحة-في يومين، هذا الصباح ... إلخ)، فضلًا عن كل المؤشرات اللغوية التي تعين الشخوص والأشياء من قبل المتكلم، فالمعينات هي وحدات التلفظ ومؤشراته، تسهم في تحيين فعل التلفظ إنجازًا وقولاً وفعلاً، عن طريق الضمائر، وأسماء الإشارة، وظروف المكان والزمان؛ ومن ثم فالمعينات هي التي تعنى بتحديد مرجع الوحدات اللغوية حين عملية التلفظ والتواصل؛ ويحيل هذا المرجع على واقعية لسانية خارجية تُسَيِّجُ علاقة الدال بالمدلول. (سعدية، ٢٠٠٩، ص ٢٣)

المهم إذن أن الإحالات هي الوحدات اللسانية التي تؤدي وظيفة مرجعية، ودلالية، وهذه الوحدات اللسانية عبارة عن مجموعة من البنى المسبوكة في نسيج النص، وتشتمل الإحالات أو التعبيرات الإشارية، على كل ما يحيل على وضعيات التكلم والتخاطب والتواصل والتبليغ والتبادل بين المتكلم والمخاطب.

فالإحالة "علاقة معنوية بين ألفاظ معيّنة وما تشير إليه من أشياء أو معان أو مواقف تدل عليها عبارات أخرى في السياق، أو يدل عليها المقام، وتلك الألفاظ تعطي معناها عن طريق قصد المتكلم، مثل الضمير، واسم الإشارة، واسم

الموصول...إلخ؛ حيث تشير هذه الألفاظ إلى أشياء سابقة أو لاحقة، قصدت عن طريق ألفاظ أخرى أو عبارات أو مواقف لغوية أو غير لغوية" (عفيفي، ٢٠٠١، ص، ١٣)، وهي في نظر عفيفي "ليست شيئًا يقوم به تعبيرٌ ما، ولكنها شيءٌ يمكنُ أن يُحِيلَ عليه شخصٌ ما باستعماله تعبيرًا مُعَيَّنًا" (السابق، ص ١١٦)، وهو بذلك يركز على قصد المتكلم؛ فجعل بيده دفة الأمور ومقودها. وباختصار شديد هي علاقة بين عنصرين أو أكثر، يوظفها المبدع قصدًا؛ لتربط بين أجزاء النص؛ ومن ثم تسهم في اتساقه وترابطه.

وتطلق العناصر الإحالية على قسم من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلة؛ بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب، فشرط وجودها هو النص، وهي تقوم على مبدأ التماثل بين ما سبق ذكره في مقام، وبين ما هو مذكور بعد ذلك في مقام آخر. (الزناد، ١٩٩٣، ص ١١٦)، فهي غير ذات معنى ما لم ترتبط بغيرها، ولعل تعريف كلماير -من وجهة نظري- أدق التعريفات وأوضحها وأشملها.

(٢-١) أنواع الإحالة.

تقسّم الإحالة إلى قسمين رئيسين، وهما: إحالة مقامية (خارجية)، وإحالة نصية (داخلية)، وتنقسم الإحالة النصية بدورها إلى: إحالة قبلية، وبعدية.

أولًا: الإحالة المقامية. يقصد بها عند بوجراند "الإحالة إلى خارج النص، أو إلى غير مذكور في النص؛ فهي تعتمد لغير مذكور في الأساس على سياق الموقف" (بوجراند، ١٩٨٠/١٩٨٨، ص ٣٢٢)، أو هي الألفاظ التي بمقتضاها تحيل اللفظة المستعملة إلى الشيء الموجود في الخارج (الشاوش، ٢٠٠١، ص ١/ ١٢٥)؛ حيث تسهم في خلق النص باعتبارها تربط اللغة بسياق المقام (خطابي، ٢٠٠٦، ص ١٧). وهذا النوع من الإحالة (الخارجية) "يتوقف على معرفة سياق الحال أو الأحداث والمواقف التي تحيط بالنص، حتى يمكن معرفة المحال إليه من بين الأحداث والملابسات المحيطة بالنص". (الفقي، ٢٠٠٠، ص ١/ ١٤١)، وهي "تُسهم في خلق النص، وذلك عن طريق ربط اللغة بسياق المقام، ورغم أنها لا تسهم في اتساق النص بشكل مباشر إلا أنها ضرورية لانسجام النص مع مقامه، وهو ما يحقق له المقبولية لدى المتلقي". (خطابي، ٢٠٠٦، ص ١٧).

ثانيًا: الإحالة النصية. وتسمى أيضًا بالإحالة الداخلية؛ أي داخل النص، ويعرفها الزناد بأنها "إحالة على العناصر اللغوية الواردة في الملفوظ، سابقة كانت أو لاحقة" (الزناد، ١٩٩٣، ص ١١٨)، وتضطلع باتّساق النص، وتنقسم إلى قبلية وبعدية:

(أ) الإحالة القبلية. وفيها يعود الضمير على اسمٍ سابقٍ عليه؛ أي أن العنصر الإشاري يسبق العنصر الإحالي، "فتعود إلى مفسَّر سبق التلفظ به، وتعد الأكثر استخدامًا وانتشارًا؛ لأن العنصر الإشاري هو الأكثر تداولًا على ألسنة المتكلمين، ثم يُحال عليه بضميره أو أية أداة أخرى، "فتأخُّرُ الألفاظ الكنائية عن مراجعها؛ أي: ورودُها بعد الألفاظ المشترِكة معها في الإحالة أكثرُ احتمالًا من ورودها متقدمةً عليها" (بوجراند، ١٩٨٠/ ١٩٨٨، ص ٣٢٧)؛ مثل: يطير الحمام ثم يعود، فالضمير المستتر هو يعود على العنصر الإحالي السابق (الحمام).

(ب) الإحالة البعدية. وفيها يعود الضمير "على عنصر إشاري مذكور بعدها في النص، ولاحق عليها" (الزناد، ١٩٩٣، ص ١١٩)، ومن شواهدها قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ [سُورَة الْإِخْلَاص ١]، فضمير الشأن (هو) يحيل على لفظ الجلالة، وتكمن قيمة هذا النوع في التوكيد والحصر والاهتمام، كما يقول ابن عاشور: "وَضَمِيرُ هُوَ ضَمِيرُ الشَّأْنِ

لِإِفَادَةِ الِاهْتِمَامِ بِالْجُمْلَةِ الَّتِي بَعْدَهُ" (ابن عاشور، ١٩٨٤، ص ٣٠/ ٦١٢).

(٣-١) أدوات الإحالة:

وهي العناصر التي يعول عليها المتلقي في تحديد المحال إليه داخل النص أو خارجه، وهي لا تملك في ذاتها دلالة مستقلة؛ بل تبرز دلالتها حين تؤشر إلى عنصر أو عناصر أخرى، ونحن " نعتمد في فهمنا لها لا على معناها الخاص بها؛ بل على إسنادها إلى شيء آخر ... وتجبر المستمع أو القارئ على البحث عن معناها في مكان آخر" (براون، ١٩٨٣/ ١٩٩٧، ص ٢٣٠)، وهذه الأدوات متنوعة وكثيرة، ولم يتفق عليها الباحثون والمنظرون كلهم ؛ لعدم وجود تعريف موحد للإحالة؛ لذا سأعتمد في تحليلي لمدونة (الحمامة) على المتفق عليه منها والغزير المنثور في مفاصل النص، وسنبين أثر الإحالة بها في اتساق النص وترابطه وشدّ عراه وتمتينها، وتتمثل تلك الأدوات في: الضمائر، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، والتعريف.

أولًا: الإحالة بالضمائر. وهي من أبرز الأدوات وأكثرها وجودًا في النصوص ومن أهم وسائل اتساقها؛ إذ لا يكاد يخلو نص من تناثرها في كل جمله وتراكيبه، يأتي بها المبدع؛ "لضرب من الإيجاز ...؛ لأنك تستغني بالحرف الواحد عن الاسم بكماله، فيكون ذلك الحرف كجزء من الاسم" (ابن يعيش، ٢٠٠١، ص ٢/ ٢٩٢)، فهي كناية عن الأسماء الظاهرة "تَوَخِّيًا لمبدأ الاختصار الذي تَتَحَلَّى به النصوصُ الفصيحةُ" (حسان، (م)، ٢٠٠٦، ص ١/ ١٩٥)، وهي " أشهر نوع من الكلمات الكنائية" (بوجراند، ١٩٨٠/ ١٩٨٨، ص ٣٢١).

تنقسم الضمائر من حيث مدلولها إلى ضمائر وجودية، وهي التي تدل على ذات، سواء أكانت للمتكلم أو المخاطب أو الغائب، مثل: أنا، نحن، أنت، هو، هي ... إلخ، وملكية مثل: كتابي، كتابك، كتابه ... إلخ. (عفيفي، ٢٠٠١).

وتنقسم من حيث وظيفتها الاتساقية إلى قسمين بحسب تقسيم هاليداي ورقية حسن، قسم يقوم بالإحالة خارج النص، وهي ضمائر المتكلم والمخاطب، ولا تقوم على الإحالة داخل النص إلا في الكلام المستشهد به أو في خطابات مكتوبة متنوعة من ضمنها الخطاب السردي؛ لأن سياق المقام في الخطاب السردي يتضمن سياقًا للإحالة، وهو تخيل ينبغي أن يبنى انطلاقًا من النص نفسه، بحيث إن الإحالة داخله يجب أن تكون نصية، ومع ذلك لا يخلو النص من إحالة سياقية إلى خارج النص تستعمل فيها الضمائر المشيرة إلى الكاتب أنا، نحن أو إلى القارئ القراء بالضمائر أنت ، أنتم. (خطابي، ٢٠٠٦)، وضمائر الغيبة (هو، هي، هما، هم، هن)، وهي التي تضطلع باتساق النص؛ لأن "ضمير الغيبة يفتقر-في العادة - إلى مذكورٍ يُعَدُّ مَرْجِعًا له، فلا يتضح معنى الضمير إلا بواسطة ذلك المرجع" (حسان، (ب)، ٢٠٠٠، ص ١/ ١٣٨؛ (خ)، ٢٠٠٥، ص ٩٢؛ بركات، ١٩٨٧، ص ص ٦٩-٧٠)؛ ومن ثم تحقق ضمائر الغيبة الاتساق النصي؛ لربطها الكلام بعضه بعضًا.

ثانيًا: الإحالة باسم الإشارة. هي إحدى وسائل الاتساق الإحالية، وتنتمي إلى الكنائيات مثل الضمائر؛ والمقصود بها: "الضمائر والإشارات والموصولات" (بوجراند، ١٩٨٠/ ١٩٨٨، ص ٣٢)، وهي بحسب تصنيف هاليداي، ورقية حسن:

ظرفية: الزمان (الآن، غدًا)، والمكان (هنا، هناك).

الانتقاء: (هذا، هؤلاء).

البعد: (ذاك، تلك ...)، والقرب: (هذه، هذا). (خطابي، ص ١٩).

وأود أن أشير إلى أن ما يجب التركيز عليه هنا هو الوظيفة الاتساقية لاسم الإشارة ودوره في تحقيق التماسك

النصي، فهي تتسم بالإبهام؛ لأنك "تُشِيرُ بها إلى كل ما بحضرتك، وقد يكون بحضرتك أشياءُ فتلتبس على المخاطَب، فلم يَدْرِ إلى أيِّها تشير، فكانت مبهمةً لذلك". (ابن يعيش، ٢٠٠١، ص ٢/ ٣٥٢)، فضميرَ الإشارة "ضميرٌ قويٌّ، وعنصرٌ فاعِلٌ؛ إذ يمكن استخدامُه مُكَثَّفًا؛ أي: مُشِيرًا إلى عددٍ كبيرٍ من الأحداثِ السابقةِ له؛ رغبةً في الاختصار، أو اجتنابًا للتكرار" (بحيري، (د)، ٢٠٠٥، ص ١٤٣).

وهي لا تؤدي معانيها منفردة، وإنما تحتاج إلى مفسر أو موضح هو المشار إليه، وبذلك تصير مثل الضمائر لا تفسر إحالتها إلا إذا ارتبطت بما تشير إليه، "فإذا كانت الضمائر تحدد مشاركة الشخوص في التواصل أو غيابها عنه فإن أسماء الإشارة تحدد مواقعها في الزمان والمكان داخل المقام الإشاري، وهي تمامًا مثلها لا تُفهم إلا إذا رُبطت بما تشير إليه"، (الزناد، ص ص ١١٧-١١٨).

والإحالة باسم الإشارة تفيد الإيجازَ "حين يكون المُحالُ إليه قصةً أو حدثًا أو مجموعةَ أحداثٍ تشكل نتيجةً ينبني عليها الحدث، أو المعنى الذي يشير إليه عنصر الإحالة الجامع لكل ما تقدم عليه" (السابق، ص ١٠٣)، وهي "تَعْقِدُ صلةً بين أحداث متقدمة، ونتيجة لاحقة". (السابق، ص ١٤٨) و" تُلَخِّصُ حديثًا أو قولًا سابقًا، فترِبطُ بين المُشِيرِ والمُشار إليه برِباط السببية". (حسان، (خ)، ص ٩٢). وتستطيع أسماء الإشارة -مثل الضمائر- أن تشير إلى خارج النص، فتكون إشارتها مقامية، وتشير داخل النص، وتكون إحالتها إما قبلية أو بعدية.

ثالثًا: الإحالة بالموصول. الاسم الموصول من المبهمات فيحتاج إلى ما يفسره، ولابد له من جملة تردفه وتشتمل على ضمير يرجع إليه، وتسمى هذه الجملة صلة، فهو من الأدوات التي تشد من أزر التلاحم النحوي بين ما تقدم ذكره، والعلم به، لذلك لابد له من صلة مشتملة على ضمير ليحقق الإحالة إلى ما يقصد المتكلم، واجتلب؛ ليكون وصلة إلى وصف المعارف بالجمل؛ لأنَّهم لَمَّا رأوا النكرات تُوصَف بالمفردات والجمل؛ نحو: "مررت برجل ذاهبٍ، ومررت برجل أبوه ذاهب، وذهب أبوه، وما أشبه ذلك، ولم يحسنوا أن يجعلوا النكرة أقوى من المعرفة، وآثروا التسوية بينهما، جاءوا باسم ناقص لا يتم إلا بجملة، فجعلوه وصفًا للمعرفة توصلاً إلى وصف المعارف بالجمل". (الأنباري، ١٩٩٩، ص ص ١/ ٢٦٣-٢٦٤؛ ابن سيده، ٢٠٠٠، ص ١٠/ ١٠٧، ابن منظور، ص ١٥/ ٢٤٥).

وتكون "الإحالة بالاسم الموصول إحالة مزدوجة لما يقوم به الموصول بالاشتراك مع صلته التي تحتوي على عائد يحيل على ما يستحضر في ذهن المتلقي، وهذا الاستحضار يكون بقصد المتكلم، ويعد أسلوب التعريف بالموصول أشيع المعارف استخدامًا؛ لأنه مفرد متضمن جملة؛ ولذلك يتسع لكثير من أحوال المعارف، بخلاف الضمير والعلمية فإنها محددة في دلالة واحدة". (الزوبعي، ١٩٩٧، ص ٢٠٥).

وتحققُ الإحالةُ بالموصول التماسكَ النصي؛ "لأن فيه طاقةً للربط بين أوصال الجملة، أو السياق القائم على أكثر من جملة". (حسان، (م)، ٢٠٠٦، ص ١/ ٢٠٠)؛ ولأن الموصول، أيًّا كان نوعه، من المبهمات التي تفتقر إلى ما يفسرها ويزيل إبهامها، وتقوم جملة الصلة بهذا الدور؛ لأنها تكون مشتملةً على ضميرٍ مطابِقٍ للموصول في العدد والنوع والدلالة؛ ليربطها به، وهذا الافتقار إلى جملة الصلة والضمير الذي تشتمل عليه يؤدي إلى سبك النص وحبكه؛ لأن المعنى لايتم بدونهما. (بركات، ١٩٧٨)

ولما كانت الإحالة لا تتم إلا بقصد المتكلم، فإن استعمال الموصول يفيد أغراضًا مختلفة كالتعظيم، والتعليل، والتعيين، والإيجاز ... إلخ.

رابعًا: الإحالة بالتعريف بـ: "أل" . يعد التعريف بـ: "أل" أداة من أدوات الاتساق الإحالية، إذ يقوم بربط أجزاء النص بعضها ببعض، عن طريق استعادة كلمة نكرة سابقة

في صورة أكثر تحديدًا من شكل ورودها الأول، أو إيراد كلمة ما في شكل محدد تمكن المتلقي من تمييز ما تحيل إليه سواء في النص أو في الواقع والتعريف وهو "المدى الذي يفترض عنده إمكان التعرف على طبيعة عالم النص بالنسبة لتعبير ما في نقطة بعينها، ثم استعادة هذه الطبيعة في مقابل حالة ذكرها لأول مرة عند هذه النقطة" (بوجراند، ١٩٨٠/ ١٩٨٨، ص ٣٠١)

فالتعريف يقوم بربط أجزاء النص عن طريق استعادة كلمة منكَّرة سابقة في صورة أكثر تحديدًا، حيث تعاد معرّفة بأل، وهو ما يطلق عليها النحاة أل للعهد الذكري، ويكون الربط حينئذ عن طريق الارتداد إلى الخلف؛ لأن اللفظة المكررة تحيل على اللفظة السابقة، أو بعناصر معهودة تمثل معارف مختزنة في ذاكرة المخاطِب والمخاطَب اللذين تجمعهما معرفة شخصية، وهو ما يسميه النحاة بالعهد الذهني، أو عناصر المشاهدة أو ما يطلق عليه العهد الحضوري.

المبحث الثاني: الإحالة في نسيج بنى الحمامة

معلوم أن تحليل النصوص يتطلب مقاربة متعددة الأبعاد؛ لذا يجب على المستويات المختلفة كلها أن تقيم علاقة مع بعضها بعضًا، ... أو هي على حد قول ديك "فليس المقصود فهم النص وتحليله لذاته فقط، وإنما المقصود فهم مختلف وظائف النص (أفعال، مؤثرات، ... إلخ) وتحليلها في هذه السياقات". (عياشي، ٢٠٠٤، ص ١٩١).

ولما كان التحليل النصي "يُسْتَدْعَى فيه ممارسةُ مصطلحات عديدة، بإجرائه عملية إسقاطية على ما يسمى النص؛ إذ تسعى هذه العملية إلى تفكيك الخطاب المحبوك المتماسك (شكلًا ودلالة) المكتوب والمسموع إلى بنيات جزئية فاعلة ومتفاعلة، داخلية وخارجية، من أجل معرفة مختلف المرجعيات الخطابية (الأسس المعرفية والخلفية والأطر النظرية للخطاب) التي أسهمت في تشكله، بمعرفة مضامينه ومحتوياته وغاياته ومعاييره وفضائه وبنياته وجنسه ... إلخ؛ ليتحقق التحليل؛ "الأمر الذي يجعل العملية غاية في التشابك والتعقيد، تتطلب من أجل التحكم فيها معرفة موسوعية عميقة في التخصص تحفها معارف رافدة أخرى، من جهة، والتحكم في ممارسة بعض المصطلحات التي يقودنا إليها التحليل -كمصطلح جامع- من جهة أخرى". (سعدية، ٢٠٠٩، ص ٤) وَجَبَ تسخير كل المعطيات والأدوات والآليات الممكنة في تحليل النص؛ لأن ذلك يقربنا من سبر أغواره، واستنطاق مدلولاته، وبَرْوَزَةِ وظائفه؛ لنقف على مراد القاصِّ الذي قد يستتر وراء جمله وتعبيراته؛ فهو لا يتعامل مع اللغة تعاملًا بريئًا حين يستدعي الألفاظ، وينسجها بطريقة مقصودة، تستوجب على القارئ أن يأخذ حِذْرَهُ ويكون حاذقًا في فك شفرات النصوص بالدفع بكل كلمة إلى "مجال تنكشف فيه الدلالات الخفية التي لا تتمظهر على سطح النص، ويؤول الأمر في النهاية إلى قراءة القراءة وإلى دلالة الدلالة". (مرتاض، ٢٠٠٥، ص ٩٥)، وهذا ما يفرضه النّصُّ الأدبي ويستدعيه؛ كي يبقى حيًّا نابضًا ديناميًّا مفتوحًا على التأويل.

(١-٢)الإحالة بالتعريف.

العنوان هو أول ما يسترعي انتباه الناقد والقارئ؛ ومن ثمَّ يغدو العتبة التي يطلّ منها القارئ إلى المتن فيبدآن التحليل والتعليل، والتأويل، وهو في مدونتنا تركيب لغوي مكون من كلمة واحدة "الحمامة"، ومن وجهة نظر النحو فإن أل في الحمامة للعهد الحضوري، وهي ما يكونُ مصحوبُها حاضرًا، مثل "جئتُ اليومَ"؛ أي اليومَ الحاضرَ الذي نحن فيه. (الغلاييني، ١٩٩٣، ص ١/ ١٤٨)، أو العهد الذهني، وهي ما يكونُ مصحوبُها معهودًا ذهِنًا، فينصرفُ الفكرُ إليه بمجرَّدِ النُّطقِ به، مثل "حضرَ الأميرُ"، وكأن يكون بينك وبينَ مُخاطَبك عهدٌ برجلٍ، فتقول حضرَ الرجلُ"، أي الرجلُ المعهودُ ذِهنًا بينك وبين من تخاطبه. (الغلاييني، ١٩٩٣، ص

١/ ١٤٨)، وسواء أكانت لهذا أو ذاك فإنها الحمامة المعهودة بين المخاطبين والمتمثلين في القاصّ، والأخوين اللذين كانا يقضيان كل وقتهما في رعاية تلك الحمامة والحمامات الأخريات، وقد وعى ابن يعيش ذلك فهو يرى أنه "لا بدّ في تعريف العَهْد من ثلاثةٍ: المذكور، والمتكلّمِ، والمخاطبِ". (ابن يعيش، ٢٠٠١، ص ٣/ ٣٤٩)، ولما كان هذا هو الذكر الأول للحمامة المعهودة بينهما ولا تحيل على اسم داخل النص، وإنما تحيل على ما هو خارج النص، فإنها تتمحض للمقامية.

ذُكرت الحمامة في نسيج القصة أربع مرات، بخلاف حمامة العنوان، وهي: "التقطي الحب من يدي أيتها الحمامة" (الدوسري، ١٤٢٦، ص ٤)، و" ثم يشفق على الحمامة" (السابق، ص ٧)، و"وليته لم يسع لإنقاذ الحمامة"(السابق، ص ٧)، وكرر جملة "التقطي الحب من يدي أيتها الحمامة"(السابق، ص ٩) في آخر القصة، وقد قوى النداء من تعيين الحمامة حين جعلها حاضرة ماثلة أمام بطلنا الصغير ومحضها للعهد الحضوري، وهو يذكرني باستحسان الجرجاني لقول ابن البواب وشهادته له بحسن النظم:

وإنْ قَتَــلَ الْهَــوَى رَجُــلًا فَــإِنِّي ذَلِــكَ الرَّجُــلُ

وقد علق عليه بقوله: انظر إلى الإشارة والتعريف في قوله: "فإني ذلك الرجل" (الجرجاني، ١٩٩٢، ص ١/ ٦٧)، فثَمَّ إحالتان عوّل عليهما القاص في تلك الجملة، أولهما: النداء وقوّاها بأل الحضورية في الحمامة، ثم ذكر لفظ الحمامة مرتين، وهي فيهما للعهد الذهني أو الحضوري، وإن كنت أرجح العهد الحضوري لما هو واقع من المشاهدة.

أما لفظة الحمام التي ذكرت في نسيج القصة ست مرات، وهي: "لقد خرج الحمام" (الدوسري، ١٤٢٦، ص ٥)، و"يطير الحمام ثم يعود" (السابق، ص ٥)، و"أجتمع فيه مع أخي نطعم الحمام معًا" (السابق، ص ٨)، و"وأنا أنظر إلى الحمام من خلال النافذة" (السابق، ص ٨)، و"الحمام الذي لن يطعمه" (السابق، ص ٨)، و"وقفنا ننظر إلى الحمام" (السابق، ص ٩)، فتحتمل أل فيها أن تكون للعهد الذهني؛ أي الحمام المعلوم بينهما، وقد تكون أل جنسية، وإن كانت المشاهدة والحال يرجحان كونها عهدية.

لقد ارتكز القاص على أل التي للعهد الذهني في قصته كثيرًا من ذلك قوله: "كان يقول لي كل يوم وهو يقف أمام البوابة المفتوحة" (الدوسري، ١٤٢٦، ص ٥)، فهي بوابة غرفة الحمام المعلومة لدي المخاطبين بالمشاهدة كل يوم، ومن ذلك: "فخفت من هذا الارتفاع" (السابق، ص ٤)؛ أي الارتفاع المشاهد والمعهود بينهما، وكقوله: "وأشار إلى السطح الصغير"(السابق، ص ٨)، وفي موضع آخر من القصة: "هيا نذهب إلى السطح" (السابق، ص ٩)، فهو السطح المعهود بينهما ويصعدان عليه كل يوم، ويمكثان فوقه مع حمامهما.

وقد اضطلعت أل سواء أكانت للعهد الحضوري أو الذهني بتماسك النص؛ لأنها تتولى مهمة التعين الذي ينبع من معرفة سابقة أو حاضرة بين المتخاطبين، فتقوم بوظيفة التحديد ليس عن طريق ألفاظ مذكورة في النص، وإنما من طريق علم مشترك بين المتخاطبين، فهي "تذكر السامع أو القارئ بشيء معروف في الذهن جرى الكلام عليه، أو الإشارة له في السياق". (خليل، ٢٠١٠، ص ٢٣٦)، وهو ما فعله أديبنا حين استعمل أل العهدية في (الحمامة/ الحمام، والبوابة، والسطح)، فكلما ذكر شيء منها انصرف ذهن المتلقي إلى ذلك المحدد المعهود بينهما من قبل بالمعاينة الحسية وأعنى بها المشاهدة؛ لأنك تستدل على مسمى الاسم الذي صحبته أل بحضور حسي بصريّ كما تقول: – لشاتم رجل تشاهده بحضرتك – لا تشتم الرجل. (الدماميني، ١٩٨٣، ص ٢/ ٣٥٦). وهي بذلك تتكفل بربط عرى النص؛ وتجنبه الترهل والتكرار وتحمل عن المبدع الإطناب بالشرح أو كثرة الوصف أو الإضافة...؛ لأنها تصرف الذهن إلى الشيء المحدد المعهود بين كل من المخاطِب والمخاطَب.

(٢-٢) الإحالة الضميرية.

أولًا: ضمائر الخطاب. استهل كاتبنا قصته بفعل الأمر المتصل بياء المخاطبة (التقطي)، وأحاله على مرجع متأخر، وهي الحمامة التي ذكرها في سياق النداء ويطلب منها أن تلتقط الحب من يده: "التقطي الحب من يدي أيتها الحمامة من يدي" (الدوسري، ١٤٢٦، ص ٤)؛ ومن ثم فهي إحالة بعدية.

ويوافينا بضمير المخاطب المتصل بالظرف (أَمَامَكِ) في ثاني جمل قصته: "فلم أنس متى خرجت هذه الكف المشرعة أمامك من قلبي"(السابق، ص ٤)، وهذه الكاف تشير إلى الحمامة المذكورة سابقا، فهي إحالة قبلية.

ثم يوظف ضمير المخاطب المستتر: (لا تخف-تعال-هل تريد-تلوح- لم تر رجلها) وكلها تشير إلى الراوي وهو نفسه الذي بدأ القصة طالبًا من الحمام أن يلتقط الحب من يده، (من يدي) بإحالة ضمير المتكلم على يده، ثم أحاله على قلبه، بقوله (من قلبي)، وبناء على ذلك لم يعد راويًا للعمل فحسب، وإنما أضحى بذلك راويًا وأحد شخوص القصة، لذا فإن ضمائر المخاطب هذه تعود عليه، ويتحول مسار الإحالة من مقامية إلى نصية قبلية؛ لأنها تعود على مذكور سابق، فضمائر المخاطب المستترة خلف هذه الأفعال(لا تخف-تعال-هل تريد-تلوح- لم تر رجلها) تعود على ضميري المتكلم في: (يدي- قلبي).

ثم وظف ضمير المخاطب المتصل مرتين: الأولى في قوله: "نعم سنصعد هنا كل يوم لإطعام حمام أخيك" (السابق، ص ٩)، وكاف الخطاب المتصلة بأخيك تعود على ضمير المتكلم المستتر (أنا) في قوله: "أريد أن أطعم حمام أخي" (السابق، ص ٩)، وهذا الربط بين ضميري المخاطب والمتكلم يشد من عرى النص ويقوي من تلاحمه وتماسكه، كما يدل الربط بين ضميري المخاطب والمتكلم على متانة علاقة الأخوين معًا.

والثانية (أمامكِ) والواردة في جملة (التقطي الحب من يدي أيتها الحمامة، من يدي، فلم أنس متى خرجت هذه اليد المشرعة أمامكِ من قلبي) (السابق، ص ٤)؛ حيث تكرر الكاف مرتين مع لفظة أمام الأولى في أول القصة، والثانية في آخرها، وهو يعود على الحمامة، فهي إحالة قبلية، كما ذكرنا آنفا، وتدل على أن الحمامة عنصر محوري في قصته؛ إذ نزلها منزلة المخاطب، وبتضام النداء مع أل التي ترمز للعهد مع الكاف يستبين لنا قدر محوريتها في العمل كما يؤشر هذا التنوع من تضام الروابط في تحقيق تماسك النص الشكلي والدلالي.

أما ضمير المخاطب البارز والمستتر، فجاء في الحوارات التي دارت بين البطل والحمامة، التقطي الحب ... أيتها الحمامة...، فياء المخاطبة تحيل على اسم متأخر وهو الحمامة، وهي من قبيل الإحالة البعدية، ولو أحلنا على الحمامة التي في العنوان تصبح إحالة قبلية، لكنني أرجح كونها بعدية؛ لأن الحوار الذي دار بين بطل العمل والحمامة من أول دلوف إلى القصة يرجح عود الضمير على حمامته التي يتقرب منها، ويناديها وهو يجثو على ركبتيه مادًّا يده إليها بالحَبِّ والحُبِّ. ثم يحيل عليها ضمير المخاطبة (كِ) المتصل بالظرف في قوله: "متى خرجت هذه الكف المشرعة أمامكِ؟" (السابق، ص ٤) في سياق مخاطبته للحمامة، وهو يسألها بحسرة عن آخر مرة امتدت يد أخيه إليها بالحب.

وبين الأخ وأخيه لا تخف، تعال، هل تريد أن تلوح، انثر، لم تر، وبين البطل وأبيه: حمام أخيك، وفي أحد الأسئلة التي وجهها إليه عمه: هل رأيته؟ وكلها جاءت في السياقات الحوارية، وهي من قبيل الإحالات القبلية؛ إذ تشير إلى بطل القصة ونواتها التي ذكرناها من قبل، وهذا التنوع الحواري في الإحالة بضمائر المخاطب المختلفة يدل على استحواذ البطل على أحداث العمل، ويدل على أن الكاتب كان يمتلك أدواته، فقد نَثَرَ ضمائر المخاطب على شخوص قصته: البطل وحمامته، والبطل وأبيه، والأخ وأخيه، والعم والبطل، وهو ما جعل البطل في حالة حوار وتشابك مع شخوص القصة كلها.

وفي السياق نفسه استطاع القاص توظيف ضمائر المخاطب على تنوعها، البارزة والمستترة والمتصلة والمنفصلة، ما جعل بين الجمل الحوارية والسردية تماسكًا، كما حقق هذا التنوع من الضمائر الخطابية ترابطًا بين جمل النص ووحداته.

ثانيًا: ضمائر المتكلم. الأصل فيها أن تحيل على ما هو خارج النص، وتسهم في خلقه، لكن كاتبنا وظف الراوي ضمن السياق السردي للقصة، وجعله واحدًا من شخوصه فيحال عليه، وذلك كما أوضحناه.

وأول تلك الضمائر هو ضمير التملك الذي أحاله على يده في قوله: "التقطي الحب أيتها الحمامة من يدي" (الدوسري، ١٤٢٦، ص ٤)، وهذا الضمير هو الذي أوجد حضوره في نسيج القصة وجعله واحدًا ضمن شخوصها، وأحيلت عليه بقية الضمائر التي تشير على راوي القصة وساردها وبطلها، فياء المتكلم في (يدي) تحيل على اسم سابق وهو (يد)، وهي جزء من شخصية راوي القصة، ذلك الطفل المعاق الذي يحكي قصته وقصة أخيه ومأساته هو وكل أسرته، فحوّل القاص دلالة ضمير المتكلم من الدلالة السياقية التي تلازمه إلى الدلالة الاتساقية؛ وتصير إحالة ياء المتكلم على (يد) إحالة قبلية، ومثلها ياء المتكلم المتصلة بالاسم (قلب) في قوله: من قلبي.

ثم أمطر النص بضمير المتكلم (ني). كما يسميه سيبويه (سيبويه، ١٩٨٨، ٤/ ١٨٦)، واستمر يحيل ضمير المتكلم (ني)، وياء المتكلم على ضمير التملك في لفظ (يدي)؛ حيث حوله إلى قطب تعود عليه كل ضمائر التكلم، وكأنه نجم يسرق الكاميرا فيسلط الضوء على نفسه: أخي، يمسكني، من خصري، يجعلني، كان يأخذني، يصعد بي، يقول لي، إليَّ، شجعني، كيف يسألني، وهو أخي، يعيش معي معاناتي، يداه يداي، ضحكي بضحكه، نظرت إلى أخي، فبدا لي، أمي، وجه أبي، سألنا عمي، أبي، إلى غرفتي، حملني والدي، أخي يفعل، بشوق جامح إلى أخي، قلت لأبي، حمام أخي، ضمني والدي، وأحاطني، لحمام أخي، ألقيت برأسي، حملني إلى غرفتي. وكلها إحالات قبلية باستثناء قوله ضمني والدي، فياء المتكلم في ضمني تحيل على اسم متأخر (والدي) وهي إحالة بعدية.

ويدل ضمير المتكلم (ني/ ي) على ارتباطه بأخيه وأبيه وأمه وعمه، وإن كانت الإحالة على أخيه هي الأبرز والأكثر، وهي توحي بمدي ارتباطه به ومساعدته إياه، فهو يفصح عنها صراحة بقوله: "يداه يداي، وضحكي بضحكه" فقد كان له عونًا ويدًا بدلًا من يديه المفقودتين، كما أن هذه الضمائر تسيج جمل النص وتقوي لحمته وتشد عراه فأغنت عن ذكر المشار إليه، ولا يخفى قيمة المزاوجة بين (ني) و(ي) في لفت الانتباه نتيجة الموسيقى المنبثقة منهما فتجذب الآذان وتشنفها.

وقد أدرك القاص أن نصه يقدم للأطفال؛ لهذا أكثر من الإحالات القبلية التي يسهل على الطفل التعرف فيها على ما يشير إليه الضمير، وقلل من الإحالة البعدية التي قد يصعب على الطفل معرفة المشار إليه فيها رغم وضوح الإحالة المذكورة، وهو بذلك يضع مقولة البلاغيين "لكل مقام مقام" نصب عينيه وهو ينسج خيوط قصته.

زاوج الدوسري بين ضمائر المتكلم البارزة والمستترة، والمتصلة والمنفصلة، فأحال الضمير المستتر على ذات الراوي الذي صهره في نسيج العمل حين ذكر جزءًا منه (يد) وأعاد عليه ياء المتكلم (يدي) ثم عاد عليه كل ضمائر التكلم؛ لتتحول الإحالة من خارج النص إلى داخله، ويصبح السارد أو الراوي أهم شخصية في القصة، فكثرت الإحالة عليه، ومن شواهد عودها عليه بضمير المتكلم المستتر، قوله : "أصعدُ، أراقب، أعرف حمامته، أراقبها، أشاركه، أنظر، أريد، أطعم، أحلم، أقترب، أراها، أخلصها، أقوم، وأسقط، أستقيم، لا أستطيع، أرد، كيف أستطيع، أن أشرح، كيف أشرح، كيف أشرح، كيف أشرح، لا أعرف، أكتم، أضمها، أفيق، أجتمع، وأنا أنظر، فلم أنس، لم أحلم.

وأحال تاء الفاعل على بطل القصة أو الذات الساردة في مواضع كثيرة: كنت أراقبها معه، فخفت، نظرت إليه، رأيت، مددت، نظرت إلى رجلها، نظرت إلى أخي، وصرت، كنت أكتم، بللت، كنت أضمها، كنت أفيق، دهشت، شعرت بشوق، قلت لأبي، ألقيت برأسي، شعرت بنبضات، قلت لأبي، أخذت أنظر، وشعرت بالهدوء، نمت. وتدل كثرة تلك الإحالات على أهمية بطل العمل الذي احتل مساحة كبيرة وحمل همًّا تنوء منه الجبال، فهو يقوم بدور أخيه، فيفعل ما كان يفعله، وينقل لنا من طريق ذاته معاناته وآلامه وأحلامه، وأفراحه وأتراحه؛ ولهذا عاد بتاء الفاعل وضمير الأنا المستتر على ذاته كثيرًا، وزاوج في بعض الأحايين بين تاء الفاعل وضمير المتكلم المستتر، كما في: كنت أراقبها معه، أخذت أنظر، كنت أكتم، كنت أضمها، كنت أفيق، وهو أمر يشد أواصر النص ويمرس فتل جمله بعضها بعضًا.

واحتل ضمير المتكلم البارز (أنا) مساحة صغيرة؛ لكنه وظفه فيها توظيفًا مثاليًّا، فأول ظهور للأنا: "أخذ عمي يوجه لي الأسئلة واحدًا تلو الآخر، وأنا لا أستطيع أن أرد" (الدوسري، ١٤٢٦، ص ٨)، كان ذلك حين حاصره عمه كمحقق بوليسي، وهو لا يعرف الرد أو لا يهتم بالرد، فظهرت منه الأنا ضعفًا لا افتخارًا، لترجع إليه كشاهد عيان رأى الحادثة رأي العين، ثم جاءت الثانية فقدمت الأنا؛ لاهتمامه وشوقه لرؤية حمام أخيه، "وأنا أنظر إلى الحمام من خلال النافذة" (السابق، ص ٨)، والثالثة: "كيف أشرح لهم، وأنا لا أعرف كيف ستمضي الأيام" (السابق، ص ٨)، فقدم أناه في سياق حسرته على نفسه. جمع القاص بين ضميري المتكلم البارز والمستتر (أنا)، وأحالهما على السارد، وشبك بينهما فبدأ بـ (أنا) البارز وقوّى ربط الجملة بـ (أنا) المستتر التي ترجع جميعًا إلى ياء المتكلم في أول القصة العائدة على (يد) البطل الراوي، وهو بذلك ينثر شبكة من الضمائر في النص كله ما يجعله متماسكًا من ألفه إلى يائه.

وجاء ضمير المتكلمين (نا) على استحياء في قوله: "وقفنا ننظر إلى الحمام"(السابق، ص ٩)، وكان البطل شريكًا فيه فهو يحيل هذا الضمير عليه وعلى والده، ومن وجهة نظري على أمه وعمه ... وآخرين، مع أنه لم يحل عليهم، لكن منطق العمل يوجب حضورهم معه؛ ليشاركوه فرحه بالنظر لحمامة أخيه، وقوله: "حين تدير رأسها نحونا"(السابق، ص ٤)، وهو يحيل هذا الضمير عليه وعلى أخيه وهو يوحي بالمشاركة في كل شيء، وكلها من قبيل الإحالات القبلية لإشارتها إلى أسماء سابقة عليها.

وأحال الضمير (نحن) المستتر في: (هيا نذهب، وقفنا ننظر، نعم سنصعد) (السابق، ص ٩) عليه وعلى أبيه، لذكر سابق لهما في الجملة: "في عصر يوم جاء أبي إلى غرفتي وأنا أنظر إلى الحمام من خلال النافذة"(السابق، ص ٨)، وهي إذن من قبيل الإحالة القبلية.

أما (نا) المفعولين في: "سألنا عمي الذي دخل توًّا" (السابق، ص ٨)، فقد أحاله القاص على متعددين سابقين وهم: الأم التي تبكي، والأب الذي اسود وجهه، وبطل القصة الذي صار يقوم ويسقط، وهي إحالة قبلية.

فأغنى الضمير (نا) عن ذكر البطل والأب والعم والأم، أو عن البطل وأبيه، واضطلع بالربط النصي بين جمل القصة، لما له من ميزات الاختصارِ الذي تزدان وتتحلّى به النصوصُ الفصيحة البليغة؛ لأنَّ التَّضْمِيرَ يَحُولُ دون تَرَهُّلِ النَّصِّ. كما استطاع القاص الجمع بين الضمير المستتر نحن والضمير المتصل (نا) كما في وقفنا ننظر؛ ليقوي الربط بين أواصر أجزاء الكلام؛ لأن "الإضمارِ شرطًا من الشروط النحوية التركيبية الأساسية لتماسك النص". (مان، وفيهفجر، ١٩٨١/ ٢٠٠٤، ص ٢٣).

ومع أن الضمائر الدالة على المتكلم أو المخاطب من قبيل الإحالة المقامية التي "تسهم في خلق النص"(خطابي، ٢٠٠٦، ص ١٧)، أكثر من اتساقه، فالضمير أنا أو نحن يصدق على ذات موجودة خارج النص، وأمثلة هذا النوع

كثيرة وفي نصوص مختلفة منها قول المتنبي (١٩٨٦، ص ص ٨٣-٨٤):

أَنَا الّـذي نظَـرَ الأعْمَـى إِلَى أَدَبِي وأَسْمَعَتْ كَلِماتِي مَـنْ بـه صَـمَمُ
أَنَـامُ مِلءَ جُفُونِي عَنْ شَـوارِدِها وَيَسْهَـرُ الْخَلْقُ جَرّاهـا وَيَخْتصِـمُ

فضمير المتكلم الظاهر "أنا"، والمستتر في "أنام" يشيران إلى الذات المتكلمة (المتنبي) الموجودة خارج النص، فهما يحيلان على ما هو خارج النص، وهذه خاصة من خصائص ضمائر الخطاب والتكلم؛ لهذا كان دورهما الرئيس خلق النص أكثر من اتساقه باستثناء الكلام المستشهد به، أو الخطاب السردي، إلا أن القاص استطاع توظيف ضمير التملك وضفره ضمن شخوصه من أول جمل نصه حين أعاد ياء المتكلم على يده بقوله: "التقطي الحب من يدي أيتها الحمامة من يدي"(الدوسري، ١٤٢٦، ص ٤)؛ ومن ثم استطاع أن يحيل على ذاته –على الرغم من أنه الراوي– التي أضحت من أهم أضلاع شخوص القصة، فأسهمت تلك الإحالات في اتساق النص وتماسكه.

ثالثًا: ضمائر الغيبة. أما ضمير الغائب بكل صوره فكان جل إحالاته من نصيب الغائب الحاضر؛ الأخ الأكبر لبطلنا، ومن الطبيعي أن يحتل مساحة كبيرة في القصة، ومن هذه الإحالات: سطحه، أخفاه، مده، وهو يقف، معه، يعيش، وهو أخي، يداه، بضحكه، سقط، يفعل، يهذي، شجعني، يجعلني، معه، أشاركه، فرحه، لوّحَ، طلب، إليه، ابتسم،، ضمني، وهو يخفي، رأسه، يداه، تلوحان، لحمامته، بضحكه،، ينظر إليها، وقال، بدا، كأنه، ها هو، يهبني، ذراعه، يشفق، يتمنى، يخلصها، ليته، وليته، لم يسع، عاش، كيف سقط، ومن أين سقط، هل رأيته، لحمامته، ألمه، محاولاته، وهو ليس بجانبي، يشاركني، يداه، جسده، ضحكته،، وجوده.

فضمائر الغيبة التي أحالها القاص على أخي بطل القصة، ذلك البطل الحقيقي الذي سقط من فوق السطح؛ فلقى حتفه بلغت ثماني وخمسين إحالة، سواء أحال عليه بضمير الغائب المنفصل أو المتصل أو المستتر؛ وهي شبكة من المرجعيات وكلها تعود على (أخي) الذي هو بمنزلة النواة أو القطب الذي تلتف حوله كل تلك الضمائر وتشير إليه؛ فأغنت عن إعادته، وربطت عناصر النص بتلك النواة، ما أدى إلى تماسك النص وترابطه. وانتمت كلها إلى الإحالة القبلية، باستثناء: "وهو أخي"؛ لأن الضمير يشير على مشار إليه لاحق، فهي إحالة بعدية. كما يشير هذا الكم من الضمائر على المساحة التي استحوذت عليها تلك الشخصية، ويمكن أن يكون ذلك معيارًا تقاس به مساحة الأدوار وأهميتها في كل الأعمال القصصية.

وأحال الضمير على الحمامة، لأنها شخصية أساسية ومحورية في العمل، من ذلك: أراقبها، رأيتها، تطير، لها، رجلها، رأسها، ظهرها، ليتها، لها، وستجيئ، بها، كانت، تقف، أراها، اقتربت، ساقها، أخلصها، أسرها، قيدها.

وعلى الحمام، كما في: سوف يعود، ثم يعود، يلتقط، قيدها، الحمام الذي لن يطعمه، وهو يلتقط.

وعلى والده كما في ضمني إليه، وأحاطني بذراعيه، وجسده، ينتفض، حبسه، لدموعه، وقف أبي ينظر، ثم قال، كلامه، فهو، لم يكن، معتادًا، ينثر، وهو يلف ذراعيه، وهو يضمني.

وعلى عمه وأبيه وأمه في: كيف أستطيع أن أشرح لهم، أم أشرح لهم، كيف أشرح لهم، كيف أشرح لهم معاناته، والكل مشغول بألمه. يتضح لنا من تلك الإحالات مدى المساحة المعطاة لكل شخصية.

وأحال على أمه وحدها، كما في: تبكي، تسرع، وتضمني، صدرها، وتبكي معي، وعلى عمه منفردًا: دخل توًا، وأشار. وعلى قيد الحمامة: قيدها الذي يدمي، وعلى الوسادة: أضمها، وعلى الحلم: أجتمع فيه. وعلى الصديد: ينزف.

وتنوعت تلك الإحالات فمنها ما عاد على مفرد، ومنها ما عاد على جمع؛ لكنها جميعًا أدت دورًا رئيسًا في تنامي النص وتماسكه؛ إذ "تُعدُّ ظاهرةُ الإضمارِ شرطًا من الشروط النحوية التركيبية الأساسية لتماسك النص". (مان، وفيهفجر،

١٩٨١/ ٢٠٠٤، ص ٢٣). ناهيكم عما لها من ميزات الاختصارِ الذي تزدان وتتحلّى به النصوصُ الفصيحة البليغة؛ لأنَّ التَّضْمِيرَ يَحُولُ دون تَرَهُّلِ النَّصِّ.

وكل هذه الإحالات النصّية أسهمت في اتساق القصة، بتنوع ضمائر المتكلم والغائب والمخاطب التي اضطلعت بربط كل فقرة من فقرات القصة كما أدت إلى تماسك البنية الكلية لها.

ومن وظائف المعينات الضميرية التمييز بين الأساليب والخطابات والأجناس الأدبية، كالتمييز – مثلًا- بين الحوار والسرد، فالحوار يتميز بوجود المعينات الحضورية، مثل :أنا، أنت، أنتم، ونحن ...، واستعمال زمن الحاضر، وتشغيل الصيغ الانفعالية، وتنويع التعبير إلى: استفهام، وتعجب، وتفجع ... في حين، يتميز السرد أو الحكي بغياب هذه المعينات، مع استعمال الأفعال الماضية، وتشغيل ضمائر الغياب، مثل :هو، هي، هم، وهن، وخلوه من الصيغ الاستفهامية والانفعالية. (حمداوي، ٢٠١٥، ص ٢٣). وقد رأينا هذا بوضوح في مدونة البحث سواء في المقاطع الحوارية أو المقاطع السردية على ما بيناه من قبل.

وطالما أننا تحدثنا عن إحالات الضمائر، وكانت مدونتنا قصة، فلا بأس من أن نعرج في عجالة على شخصيات القصة، لنرى مدى دلالة كمّ تلك الإحالات على تبيان مساحة الشخصيات وأدوارها في العمل، وهو ما اتضح من عدد مرات الإحالة على كل شخصية، فالبطل ذلك البرعم الصغير المُبْتَلَى الذي أدخلنا في الجوانب الإنسانية والوجدانية في العمل من أول مشاهده وأحداثه، كما أن باقي الشخصيات تعد شخصيات رئيسة أو أساسية، فأخوه يعد بطلًا في كل المشاهد التي يظهر فيها؛ لأنه محرك العمل ومحوره ومشعل جذوته، وأضاف للعمل بعدًا إنسانيًّا كبيرًا بتعاطفه مع البطل وبطيبته ورحمته ورهافة إحساسه مع طائر السلام، وأدخلنا في حالة مأساوية حزينة بما وقع له من فاجعة أبكت وأحزنت كل شخصيات القصة، وآلمنا معهم وحبس أنفاسنا وأعلى تنهداتنا، والحمامة، هي الشخصية المحورية التي دارت الأحداث حولها وتنامت بسببها وفي فلكها، وكانت عاملًا رئيسًا في تشابك خيوط العمل، وتصاعد أحداثه، ومرتكزًا في عقدته، فكانت محورًا دارت كل الأحداث حولها، وكان اختيارها في قصة أطفال اختيارًا مناسبًا، لما لها من الوداعة والمنزلة والتأثير في قلوب الأطفال ووجدانهم، وهناك أبوه وأمه وعمه، وهذه الثلاثة تعد شخصياتٍ ثانويةً على درجة الشخصيات الأساسية.

(٣-٢) الإحالة بالموصول.

تحققُ الإحالةُ بالموصول التماسكَ النصي؛ لأن فيه طاقةً للربط بين أوصال الجمل، أو السياق القائم على أكثر من جملة، (حسان، (م)، ٢٠٠٦، ص ١/ ٢٠٠). "فيَشُدُّ من أَزْرِ التلاحُم النحوي بين ما تقدَّم ذِكْرُهُ والعلمُ به، وما يُراد من المتكلم أن يَعْلَمَ به، أويضُمَّهُ إلى ماسَبَقَ من العلم به". (خليل، ٢٠٠٧، ص، ٢٣٠).

وقد عوّل القاص على اسمي الموصول (الذي، التي) في ربط بعض جمل القصة، فأول حديث عنه جاء في سياق وصفي لمسرح الأحداث التي تدور فيها قصته؛ حيث أحال به على السطح الصغير: "سطحه الذي أخفاه عن العيون" (الدوسري، ١٤٢٦، ص ٥)، وهو بذلك يربط أول ورود للسطح في النص بجملة الموصول مع صلته عن طريق تلك الإحالة القبلية. كما أن تلك الإحالة أضافت توضيحًا للسطح فذكره مجملًا (سطحه الصغير)، ثم فصل بعد ذلك عن طريق جملة صلة الموصول "سطحه الذي أخفاه عن العيون ومده للفضاء" (السابق، ص ٥)، فاسم الموصول مع صلته أضاف أوصافًا "لسطحه الصغير "لم تكن موجودة عند السامع.

وجاءت الثانية _أيضًا_ في سياق وصفي وفي حضور ضمير الغيبة الذي يعود به على أخيه: "وهو أخي أقرب الناس إلي، والذي يعيش معي معاناتي كل يوم"(السابق، ص ٧)، وعاد بالاسم الموصول على عمه الذي دخل توًّا، وعلى

القيد الذي يدمي ساق الحمامة، وعلى الحمام الذي لن يطعمه أخوه. فثمة اتساق بين الاسم الموصول وأخيه وأبانت الصلة مشاركته في المعاناة، و وكذلك بين الاسم الموصول الذي وعمه، ونمت الصلة عن غيابه عن كل المشاهد السابقة... وقد أبان ذلك مقاصد القاص، وأدى ذلك الربط إلى تماسك الجمل؛ حيث أضحى الاسم الموصول مَفْصِلًا بين المشار إليه وجملة الصلة التي تضيف لنا قصدًا يريد الأديب إيصاله إلينا.

أما الاسم الموصول (التي) فقد ورد ثلاث مرات، وكلها تحيل على السابق، فأحال الأول على الحمامة: "حمامته المفضلة التي يهذي بها" (السابق، ص ٤)، والثاني على الدائرة الحمراء: "الدائرة الحمراء التي صنعها الحبل" (السابق، ص ٨)، والثالث على وسادة أخي: "وسادة أخي، والتي كنت أضمها" (السابق، ص ٨)، وجاءت الإحالات على تلك الأسماء في سياق الغائب. وما بعد الاسم الموصول يضيف زيادة بيان للمشار إليه، حمامته... التي يهذي بها، الدائرة... التي صنعها الحبل، وسادة أخي... التي كنت أضمها، وهذا التفصيل والتوضيح بين المشار إليه والصلة أدى إلى التماسك بين الجمل والتراكيب، كما أضفت هذه الإحالة وضوحًا للمشار إليه، فيحمد للقاص هذا الصنيع؛ لأنه يقدم قصته للأطفال.

وتعد كلها من قبيل الإحالة النصية القبلية، وقد أسفر ذلك عن الترابط بين جمل قصته، فأضفى الربط بالموصول تماسكًا وتلاحمًا لكل أوصال قصة الحمامة، وشدّتْ من أزر التماسك النصي؛ لافتقار الاسم الموصول إلى جملة الصلة التي بدورها تجلي غموض الاسم الموصول، وهو بدوره ووظيفته يعود على اسم سابق لم نرد تكراره، فنستعيض عنه بـ: (الذي / التي ...)، ثم نضيف به وبصلته معنى لم يكن موجودًا في الاسم السابق، وهذا هو معنى قولهم: "إنه إنما اجتُلب؛ ليتوَصَّل به إلى وصْف المعارف بالجمل. (الجرجاني، ١٩٩٢، ١/ ٢٠٠)، ثم نربط بين الاسم السابق والاسم الموصول بالضمير الذي تشتمل عليه جملته مما يؤدي إلى تقوية عُرى النص ومتانة خيوطه، وتماسك عراه.

والملاحظ أنه أحال بالاسم الموصول على غائب قبله، ووردت الإحالات به في مواضع الحكي والسرد، فأدت إلى تعالق عناصر النص وترابطه، وتماسكه، وهذا يؤكد أن مواضع الغيبة تحتاج إلى الإحالات أكثر من مواضع التكلم أو الخطاب.

بقي أن أشير إلى أن القاص أتى بالاسم الموصول مسبوقًا بالواو، مثل: "وهو أخي أقرب الناس إلي، والذي يعيش معي معاناتي كل يوم" (الدوسري، ١٤٢٦، ص ٧)، وقوله: "بللت وسادة أخي بدموعي، والتي كنت أضمها" (السابق، ص ٨)، وهو يخالف بذلك المتعارف عليه من قواعد اللغة؛ لأن الاسم الموصول في مثل هذا الموضع يعرب نعتًا، فلا داعي لسبقه بالواو.

(٤-٢) الإحالة بالإشارة.

يعد اسم الإشارة "رابطًا من الروابط التي تَعْقِدُ صلةً بين أحداث متقدمة، ونتيجة لاحقة". (بحيري، ٢٠٠٥، ص ١٤٨)، فالربط بها يَخْتَصِرُ مفردات أو جملًا، وربما حوارًا مطولًا؛ إذ يمكن استخدامُه مُكَثَّفًا؛ أي: مُشِيرًا إلى عددٍ كبيرٍ من الأحداثِ السابقةِ له؛ رغبةً في الاختصار، أو اجتنابًا للتكرار. (بحيري، ٢٠٠٥، ص ١٤٣)، وتفيد الإحالة باسم الإشارة الإيجازَ (حين يكون المُحالُ إليه قصةً أوحدثًا أو مجموعةَ أحداثٍ تشكل نتيجةً ينبني عليها الحدث، أو المعنى الذي يشير إليه عنصر الإحالة الجامع لكل ما تقدم عليه. (بحيري، ٢٠٠٥، ص ١٠٣)، وأول إحالة على إشارة في النص: "فلم أنس متى خرجت هذه الكف المشرعة أمامك من قلبي" (الدوسري، ١٤٢٦، ص ٤). وكأنه مازال يرى يد أخيه ماثلة أمام عينه لا تفارق وجدانه وخياله وعقله وكيانه، فأشار إليها بألم وحسرة على فراقها وفراقه، لكنها لم تخرج من ذاكرته وعقله ووجدانه ... ثم يختم قصته بهذه الجملة "فلم

أنس متى خرجت هذه اليد المشرعة أمامك من قلبي" (السابق، ص ٩) المسيطرة عليه، والتي جعل منها بداية دائرية.

وقوله: "كيف يسألني أخي هذا السؤال" (السابق، ص ٧)، فالمشار إليه الجملة السابقة، وهي سؤال أخيه له (هل تريد أن تلوح لها؟"، فلم يرد أن يكرر مضمون السؤال لثقله على نفسه.

كذلك في قوله: "طلب مني أن أقترب كي أراها، فخفت من هذا الارتفاع" (السابق، ص ٤)، فالارتفاع وهو المشار إليه مستخلص من سياق الحال والمشاهدة، وهو ما لم يرد ذكره في النص، والمعنى طلب مني أن أقترب كي أراها فرأيت الارتفاع فخفت منه. ولا يخفى ما فيه من الاختصار، والإحالتان السابقتان بعديتان؛ لأن الضمير يعود فيهما على اسم لاحق.

وقوله: "نعم سنصعد هنا كل يوم لإطعام حمام أخيك، قال أبي ذلك وهو يضمني إليه بقوة" (السابق، ص ٩)، ففي ذلك غنى عن إعادة الكلام. فذلك تشير إلى مضمون الجملة السابقة، وهو الصعود لإطعام حمام أخيه، فهي لم تشر إلى عنصر إشاري محدد، وإنما نفهمه فهمًا من النص والمقام معًا، وهو ما يطلق عليه الإحالة البينية. ويُقصد بها: "الإحالة التي لا توجد خارج النص أو داخله بشكل مباشر؛ بل يمكن أن تأتي عن طريق الإيحاء، وهي ما أطلق عليه "المعطى الجديد"؛ حيث لم يذكر صراحة المحال إليه؛ بل يفهم من سياق الحوار، والدليل على وجوده يكون داخل النص، غير أنه لم يذكر صراحة، فلا هي مذكورة داخل النص، ولا هي مفهومة من الموقف وحده" (عفيفي، ٢٠٠١، ص ٤١)

لا أحد يكره الطيبة أو يرفض فعلها، لكن بطلنا الصغير رأى فيها هلاكَ أخيه، فتجسدت أمامه وحشًا كأفلام الرعب االهوليودية؛ لذا أشار إليه بقوله: "ولكن ليته لم يكن بهذه الطيبة" (الدوسري، ١٤٢٦، ص ٨) الزائدة أو المهلكة أو القاتلة. وهي إحالة بعدية.

ثم تأتي الإشارة بـ (هنا، وهناك) فـ (هنا) اسم إشارة للمكان القريب وتتَّصل به (ها) التَّنبيه فيقال: ها هنا، أو ههنا كما تتَّصل به كاف الخطاب ولام البعد فيقال (هناك) أو (هنالك) للإشارة إلى المكان البعيد. ويلزم أن يكون اسم الإشارة ظرفًا. (الشاطبي، ٢٠٠٧)، وقد وظفها توظيفًا جيدًا حين أحال بها على مسرح الأحداث الذي يكرهون ذكر اسمه، ولم يطيقوا القرب منه أو مشاهدته فأحالوا عليه باسم الإشارة الذي يتمحض للبعد: "ويجعلني أصعد سطحه الصغير، وهناك كنت أراقب الحمام معه" (الدوسري، ١٤٢٦، ص ٤)، "سألنا عمي الذي دخل توًّا: هل سقط من هناك" (السابق، ص ٨)، وربما يرجع سبب الإشارة إليه بالبعد الحقيقي، فقد غادروا مسرح الأحداث المشؤوم وجلسوا بعيدًا عنه، ولا ضير من أن يكون البعد معنويًا وحقيقيًا.

وأشاروا إلى مسرح الأحداث وهو السطح باسم الإشارة للقريب (هنا) في سياق تصالح بينهم وبينه، وكأنهم تجاوزوا أحزانهم، واستعادوا قواهم؛ ليسير قطار الحياة مجددًا "نعم سنصعد هنا كل يوم لإطعام حمام أخيك"(السابق، ص ٩)، وهي إحالة مقامية؛ لأن المشار إليه غير موجود يدل عليه سياق الحال، أي السطح.

ثم يختم قصته بالإشارة إلى ليلة محببة إليه كان يشتاق إليها، فنام فيها هادئًا بعد ما حقق له أبوه حلمه في الواقع، ثم حمله إلى غرفته، وعندما نام في تلك الليلة لم يحلم، ودل بها على التخصيص، وتوحي بالراحة النفسية التي جلبها له والده حين وعده باصطحابه كل يوم لإطعام حمام أخيه، استطاع الدوسري الربط بين جمل قصته بعدد من العناصر الإشارية المتنوعة، وأقام بينها شبكة من العلاقات الداخلية أدت إلى إيجاد نوع من الاتساق والانسجام بين كل أجزائها.

خاتمة بأهم النتائج:

١.أوضح التحليل النصي لبنى الحمامة أهمية روابط الجمل التي وفَّرتْ للنص تماسكه الشكلي والمعنوي.

٢.كما أظهر تحليلها لأوجه الترابط النحوي بين الجمل المفردة وصولًا إلى الفهم الإجمالي للنص.

٣.استطاعت تلك الإطلالة أن تبين الدلالات الخفية المستترة وراء التراكيب، ولا تتمظهر على سطح النص.

٤.أدت الإحالة دورًا رئيسًا في تماسك نص الحمامة؛ حيث استعان الدوسري في قصته بروابط متنوعة قامت بأداء الوظيفة المنوطة بها من تماسك النص، وأسهم تنوع الإحالة الضميرية والإشارية والموصولية في بلوغ مقاصد الدوسري وتأثيره الوجداني على المتلقي، وحَالَتْ شبكة الإحالات التي لفّ بها الدوسري نصه دون ترهل قصته؛ بل أدت إلى تماسكها وتمتين عراها.

٥.ميّزت المعينات الضميرية بين الحوار والسرد في نسيج قصة الحمامة، فظهر في الحوار تقاصف المعينات الحضورية، كـ: (أنا وتاء الفاعل، وياء المتكلم التي غزت النص كله، وتميز السرد أو الحكي بكثرة استعمال الأفعال الماضية التي تحمل معها ضمير الغيبة، وتجسد ذلك في كثرة استعماله للفعل (كان) على سبيل المثال.

٦.أحالت المعينات على أطراف التواصل (متكلم، ومستقبل، ومرسل إليه؛ ومن ثم تعد معيارا يقاس بها المساحات المفرودة لكل شخصية من شخصيات القصة.

٧.أسهمت الإحالة المقامية في خلق النص عن طريق ربط اللغة بسياق المقام، يشهد على ذلك عنوان القصة.

٨.استطاع القاص غرس عدد من الأعمدة التي تعد نواة تدور في فلكها الضمائر العائدة على شخصيات قصته، كضمائر الحضور والتملك والمخاطب، ويعود أغلبها على بطل القصة وراويها، كما التفتْ ضمائر الغيبة حول أخيه الأكبر، وحمامته التي تعد محركًا لكل أحداث العمل.

٩.كشف تحليل العمل عن نعومة نسج ضمائر التكلم والتملك والمخاطب في إحالتها على الشخصية الرئيسة في القصة.

١٠.أبان العمل قيمة ما ألمح إليه القدماء من إشارات ذكية عن أدوات الربط، كحديثهم عن الربط باسم الموصول؛ واجتلابه لوصف المعارف بالجمل.

١١.عوّلَ الدوسري على الإحالة الضميرية، فكانت الأظهر في قصته والأكثر انتشارًا، وشَبّكَ بين كل الضمائر (المتكلم والمخاطب والغائب، والبارزة والمستترة) فسيّجَ بها قصته، مما أدى إلى تماسك القصة وتلاحمها.

١٢.استفاد القاص من الإحالة بضمير المتكلم (مفردًا ومجموعًا، وبارزًا ومستترًا) في أسلوب السرد الذي نيط ببطل القصة، فتدرج من المفرد إلى الجمع، وزاوج بينها جميعًا، أعني ضمائر المتكلم، وهو ما أضفى على قصته قوة في نسيجها، وترابطًا بين جملها، وربطًا وثيقًا بين كل شخوصها.

١٣.استغل القاص طاقات الربط الكامنة في الاسم الموصول في الإبانة والوضوح؛ حيث أضفت الإحالة بالموصول وضوحًا للمشار إليه، فيحمد للدوسري مراعاته للفئة العمرية التي يقدم لها قصته.

قائمة المراجع

أولا: المراجع العربية:

الأنباري، عبد الرحمن (١٩٩٩). *أسرار العربية*. القاهرة: دار الأرقم بن أبي الأرقم.

بحيري، سعيد (١٩٩٧). *علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات*. القاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان. بيروت: مكتبة لبنان ناشرون.

- (٢٠٠٥). *دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة*. القاهرة: مكتبة الآداب.

بوجراند، روبرت (١٩٨٠/ ١٩٨٨). *النص والخطاب والإجراء*. (الطبعة الثانية). ترجمة تمام حسان. القاهرة: عالم الكتب.

بركات، إبراهيم (١٩٨٧). *الإبهام والمبهمات في النحو العربي*. المنصورة: دار الوفاء.

براون، جليان؛ ويول، جورج (١٩٨٣/ ١٩٩٧). *تحليل الخطاب*. ترجمة محمد الزليطي، ومنير التريكي. السعودية: جامعة الملك سعود.

برينكر، كلاوس (١٩٨٥/ ٢٠٠٥) *التحليل اللغوي للنص، مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج*. ترجمة سعيد بحيري. القاهرة: مؤسسة المختار.

الجرجاني، عبد القاهر (١٩٩٢). *دلائل الإعجاز في علم المعاني*. (الطبعة الثالثة). تحقيق محمود شاكر. القاهرة: مطبعة المدني. جدة: دار المدني بجدة.

حسان، تمام (٢٠٠٠). *البيان في روائع القرآن*. (الطبعة الثانية). القاهرة: عالم الكتب.

- (٢٠٠٥). الخلاصة *النحوية*. القاهرة: عالم الكتب.
- (٢٠٠٦). مقالات *في اللغة والأدب*. القاهرة: عالم الكتب.

حمداوي، جميل (٢٠١٥). *التداوليات وتحليل الخطاب*. مكتبة المثقف.

خطابي، محمد (٢٠٠٦). لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

خليل، إبراهيم

- (٢٠٠٧). في اللسانيات ونحو النص. الأردن: دار المسيرة.
- (٢٠١٠). في نظرية الأدب وعلم النص، بحوث وقراءات. بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون.

الدماميني، محمد (١٩٨٣). تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد. تحقيق: الدكتور محمد بن عبد الرحمن بن محمد المفدى. بدون ناشر.

الدوسري، سعد (١٤٢٦). التذكار وقصص أخرى. الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية.

الزبيدي، محمد، (٢٠٠٥). تاج العروس من جواهر القاموس. تحقيق علي شيري. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

الزناد، الأزهر (١٩٩٣). نسيج النص. بحث فيما يكون الملفوظ به نصًّا. بيروت: المركز الثقافي العربي.

الزوبعي، طالب (١٩٩٧). البلاغة العربية علم المعاني بين بلاغة القدامى وأسلوبية المحدثين. بنغازي: جامعة قان يونس.

سعدية، نعيمة (٢٠٠٩). تحليل الخطاب والدرس العربي، قراءة لبعض الجهود العربية. مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، (٤)، ١-٢٩.

سيبويه، عمرو (١٩٨٨) الكتاب. (الطبعة الثالثة) تحقيق: عبد السلام محمد هارون. القاهرة: مكتبة الخانجي.

ابن سيده، أبو الحسن (٢٠٠٠). المحكم والمحيط الأعظم. تحقيق: عبد الحميد هنداوي. بيروت: دار الكتب العلمية.

الشاطبي، أبو إسحق، (٢٠٠٧). المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية. تحقيق: عبد الرحمن سليمان العثيمين. مكة المكرمة: معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى.

الشاوش، محمد (٢٠٠١) أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية. تونس: جامعة منوبة. بيروت: المؤسسة العربية للتوزيع.

عفيفي، أحمد (٢٠٠١). نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي. القاهرة: مكتبة زهراء الشرق.

عمر، أحمد (٢٠٠٨). معجم اللغة العربية المعاصرة. القاهرة: عالم الكتب.

عياشي، منذر (٢٠٠٤). العلاماتية وعلم النص، إعداد وترجمة منذر عياشي. المغرب: الدار البيضاء. بيروت: المركز الثقافي العربي.

الغلاييني، مصطفى (١٩٩٣). جامع الدروس العربية. صيدا. بيروت: المكتبة العصرية.

ابن فارس، أحمد (١٩٧٩). مقاييس اللغة. تحقيق: عبد السلام هارون. القاهرة: دار الفكر.

الفقي، صبحي (٢٠٠٠). علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق. القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.

المتنبي، أبو الطيب (١٩٨٦). شرح ديوان المتنبي. شرح: عبد الرحمن البرقوقي. بيروت: دار الكتاب العربي.

كلماير، فيرنر، وكلاين، فولفجانج، وماير، رينهارد، وهرمان، نيتسر، وكلاوس، هارنز، وزيبرت، بروجن. (محررون) (١٩٨٠/ ٢٠٠٩). أساسيات علم لغة النص. ترجمة سعيد بحيري. القاهرة: مكتبة زهراء الشرق.

مان، فولفجان، وفيهفجر، ديتر (١٩٨١/ ٢٠٠٤). مدخل إلى علم لغة النص. ترجمة: سعيد بحيري. القاهرة: مكتبة زهراء الشرق.

مرتاض، عبد الجليل (٢٠٠٥م). الظاهر والمختفي: أطروحات جدلية في الإبداع والتلقي. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

ابن منظور، محمد (١٩٩٤). لسان العرب. (الطبعة الثالثة). بيروت: دار صادر.

ابن يعيش، يعيش (٢٠٠١). شرح المفصل. قدم له إميل بديع يعقوب. بيروت: دار الكتب العلمية.

يونس، محمد (٢٠٠٤). الإحالة وأثرها في دلالة النص وتماسكه. مجلة الدراسات اللغوية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات اللغوية. ٦ (١). ١٦٠ – ١٩٧.

ثانيًا: المراجع الأجنبية:

Benveniste, E. (1966). problème de linguistique générale, éditions: Galimard.